المبحث السادس

نفع الناس بالأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكـــر

المعروف: ما عرَّفـه الشـرع وأقـرَّه من أفعـال الخيـر .

والمنكـر: كل ما أنكره الشرع ومنعه من أفعال الشر .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الطرائق ـ إن لم يكن أهمها على الإطلاق ـ التي يعمّ بها الخير والنفع كافة أفراد المجتمع .

إن المنكر بمثابة نار تشتعل في فاعليه توشك أن تحرقهم وتهلكهم ، ومن حق الإنسان على أخيه إذا رآه يتعرض للهلاك أن يمد له يد العون لينقذه من الهلاك .

ولو قُدِّر أن إنسانًا منَّا تعرَّض للهلاك ورأى إنسانًا بجواره وكان هذا الإنسان يستطيع أن يعينه لكنه لم يفعل ، فإن المتعرض للهلاك سوف يحزن من قعود جاره عن معاونته لينجو من الهلاك .

وكان النَّبيّ ﷺ إذا دعا شخصًا إلى الإسلام فأجابه، ربما قال ﷺ: « **الحمد لله الذي أنقذه بي من النار** »(١) .

حدث أن رأى أحد الإخوة الدعاة ذات يوم شابًا مع شابة على شاطئ البحر في ظلمة الليل ، فناداه ، فلما جاءه قال له برفق : يا أخي ، لو افترضنا أن النار اشتعلت في جسدك ، ومررنا بك دون أن نحاول إنقاذك ، ولم نقدم لك شيئًا أما كان ذلك يحزنك ؟! .

قال : بلى ، فعاجله الداعية قائلاً : ونحن رأيناك تُعرِّض نفسك بما تصنع

---

(١) **انظر** : على سبيل المثال قصة إسلام الغلام اليهودي ، عند البخاري برقم (١٣٥٦) .

للنار ، فأردنا إنقاذك ، فاتق الله .

« والملاحظ أن المنكر يبدأ صغيراً محدوداً ثم يستغلظ ويتفرع ، فقد تبدأ الفاحشة بالنظرة الجريئة ، ثم تنتهي بقانون يبيحها ! ،وقد يبدأ العدوان بانتهاب فرد ثم ينتهي باجتياح شعب ! ، وقد تبدأ الحرية بالسكوت عن غباوة فرد ، ثم تنتهي بهلاك أمة » (١) .

ومن هنا تبدو حاجة المجتمع الضرورية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو من أهم واجبات الدين وفروضه .

قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - :

« أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واتقوا فتنة لا تُصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، واعلموا أن الله شديد العقاب ، أقيموا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإن ذلك دعامة المجتمع ، فلا يقوم المجتمع إلا إذا شعر كل فرد من أفراده ، أنه جزء من كلٍ ، وأن فساد جزء من هذا الكل فساد للجميع ، وأنه كما تحب لنفسك أن تكون صالحًا ، فكذلك يجب أن تحب لأخيك أن يكون صالحًا لقول النَّبيّ ﷺ : **« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »** (٢) .

وإذا شعر الإنسان بهذا الشعور النَّبيل،وأن هذا هو ما يقتضيه الإيمان ويفرضه عليه فإنه لابد أن يسعى في إصلاح المجتمع بشتى الوسائل بالطرق التي تتضمن المصلحة وتزول بها المفسدة ، فيأمر بالمعروف بالرفق واللين وليصبر على ما يحصل له من الأذى القولي والفعلي ، فإنه لابد من ذلك لكل داعٍ كما جرى ذلك لسيد المصلحين وخاتم النَّبيّين ، وليجعل الأمل والنجاح نصب عينيه ، فإن ذلك أكبر عون له على سيره في مهمته ، ولا يجعل لليأس عليه سبيلاً ، وإن على المؤمنين

---

(١) الشيخ / محمد الغزالي ، كنوز من السُّنَّة (ص٩٣) .

(٢) البخاري برقم (١٣) في الإيمان ، ومسلم برقم (٧١) في الإيمان

كلهم أن يتعاونوا في هذا الأمر الجليل العظيم ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يساعدوا من رأوه قائمًا به ، ويقوموا معه نصرة للحق وقضاءً على الباطل ، وأن لا يخذلوا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أو يرجفوا به ، فإن ذلك نصراً للباطل وإذلالاً للحق... إننا لو علمنا أن في بيت من بيوت هذه البلد مرضًا فتاكًا لأخذنا القلق والفزع ولاستنفدنا الأدوية،وأجهدنا الأطباء للقضاء عليه، هذا وهو مرض جسمي،فكيف بأمراض القلوب التي تفتك بديننا وأخلاقنا...»[١].

وقد عظَّم الله ـ تعالى ـ ثواب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، فبيّن أنهم هم المفلحون ، قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، وأنهم أهل النجاة عند شيوع المنكرات ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) ﴾ [الأعراف : ١٦٥] .

وأنهم أهل رحمته ـ أيضًا ـ قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾ [التوبة : ٧١] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النَّعم** »[٢] . وقال أيضًا : « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا** »[٣] .

وحذَّر الإسلام كذلك من مغبَّة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأنه سيعم الفساد وجه الأرض ، ويكون هذا سببُ هلاك الجميع ، ففي القرآن الكريم:

---

(١) الضياء اللامع (ص٢٦٢-٢٦٣) نقلاً عن : منهج ابن عثيمين في الدعوة (ص ١٣٦) .

(٢) البخاري برقم (٤٢١٠) .

(٣) مسلم برقم (١٨) في الذِّكر والدعاء .

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾ [المائدة :٧٩-٩٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود : ١١٦] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم** » (١) .

❁ وضرب في حديث آخر مثلاً للمجتمع الذي يؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر،والذي يُعطل فيه هذا الواجب بالسفينة،ركبها قوم فكان بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها، فكان الذين هم في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا لنشرب منه ، ولا نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا،وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعًا (٢) .

❁ وكذلك جعل الإسلام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضوابط وشروطًا حتى تَحصُل الثمرة المرجوة من ورائها ، فأمر بالرفق في أداء هذا الواجب وفي كل شيء ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ... **إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف** » ... (٣) .

❁ وجعل لتغيير المنكر درجات بحسب ما يستطيع كل إنسان ، فقال ﷺ : «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم**

---

(١) الترمذي برقم (٢١٦٩) في الفتن ، وقال : « حديث حسن » .
(٢) هذا معنى حديث عند البخاري برقم (٢٤٩٣) .
(٣) مسلم برقم (٧٧) في البر والصلة .

يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان » (١) .

والخطر كل الخطر أن يترك الناس كل درجات التغيير ـ محتجين بالعجز ـ حتى الإنكار بالقلب ، قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « إن أول ما تُغلبون عليه من الجهاد : الجهاد بأيديكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ، ثم الجهاد بقلوبكم ، فمن لم يعرف قلبه المعروف وينكر المنكر نكس أعلاه أسفله » (٢) .

وعلى هذا فإن سقطت الدرجتان الأولى والثانية من درجات تغيير المنكر عن بعض الناس في بعض الأحوال ، فإن الدرجة الثالثة لا تسقط عن أحد أبداً بحال من الأحوال ما دام على قيد الحياة يزعم أنه مسلم !! .

وإذا كنا نقول إن نفع الإنسان المسلم لمجتمعه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نفع عظيم ، فإن أحق أفراد المجتمع بهذا النفع هم أهل بيتك أولاً ، فإن الرجل والمرأة ينبغي أن يكون كل منهما آمراً ناهيًا في بيته ليعين أهله على الطاعة، وليساعدهم على النجاة من المهالك .

وهذه الأولوية قد أمر الله تعالى بها فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ [التحريم : ٦] .

فإذا رأيت تقصيراً في أولادك فمد لهم يد العون ، انظر من لا يصلي منهم ، وانظر المتبرجة منهن ، وانظر المفسد . . . وخذ على أيديهم قبل أن يهلكوا ، وربما لحقك من العقاب شيء،ويااليت الناس يهتمون بنفع أولادهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يهتمون بنفعهم بالمال ، مع أن المال قد يُفسدهم ، وليتهم يخافون عليهم من النار كما يخافون عليهم من الفقر ! .

---

(١) مسلم برقم (٧٨) في الإيمان .

(٢) انظر : سعد يوسف أبو عزيز ، صحيح وصايا الرسول ﷺ (٣/٤٣٨) ط. المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

ويجدر بالناس أن يستجيبوا لمن يأمرهم بما فيه نفعهم وينهاهم عما فيه هلاكهم ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال :٢٤] .

ولكن للأسف نجد طغيان المادة يَحُول دون استجابة الكثيرين لمن يأمرهم وينهاهم ، ولو قيل للكثيرين إن معروفًا كالسلام أو قراءة القرآن يُعطي فاعله أجرًا ماديًا ، فالذي يُسَلِّم يحصل على ثلاثين درهمًا أو دولارًا ، لبحث الناس عمَّن يسلِّمون عليه ، والذي يقرأ آية من كتاب الله يُعطى ناقة سمينة ، لما ترك الناس المصاحف من أيديهم ... وهكذا .

وهذا يدل على ضَعْف االيقين والثقة فيما عند الله، الذي يقول : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] .